صعلكة الدول: الحالة السورية نموذجاً

بقلم: د.مصطفى حسين بطيخة

تم نشر هذا المقال في جريدة (عنب بلدي) على أربعة أجزاء، و آخرها (الجزء الرابع) بتاريخ 2 أيلول 2026، ويمكن من خلاله تصفح جميع الأجزاء السابقة:

صعلكة الدول: الحالة السورية نموذجًا- 4 – عنب بلدي

الصعلكة مفهوم يعود إلى مفهوم ماقبل الممالك والدول، في الوقت الذي كان الانتماء للقبيلة هو العصبية الأقوى التي تشد أفرادها الذين صنعوا لأنفسهم دستوراً، هو دستور القبيلة الاجتماعي يحتكمون إليه ويدينون له، كالنصرة للقبيلة التي تمثل نظام الحماية والأمن والانتساب، والثأر أوالدية، والوفاء بالعهد، والأمان لمن دخل في حماية القبيلة أو جوارها، وإكرام الضيف، والحفاظ على الشرف والسمعة، وهذا الدستور في جوانبه أخلاقي يشرف عليه ويراقبه ويصونه شيخ القبيلة بمساعدة مجلس قبيلة نخبوي، أما الصعلوك فهو من خرج عن هذا الانتماء وهذا الدستور، وللصعلكة درجات، فمنهم من تصعلك رغماً عنه لأن القبيلة قررت خلعه وسحب نظام الحماية القبلي منه للأفعال الشائنة التي قام بها هذا الصعلوك المخلوع، كالقتل والسرقة والاعتداء على الشرف والسمعة، وممارسة هذه الجرائم أيضاً خارج حدود قبيلته وعلى قبائل أخرى، فتبرأت منه القبيلة إعلاناً منها أنها لاتتحمل جريرة أعماله، وحتى لاتتحمل الديات الباهظة التي كان مطلوباً منها أن تدفعها حين يقوم أحد أفرادها بالاعتداء على قبيلة أخرى، أما النوع الآخر من الصعاليك فهو من خلع نفسه بنفسه وطواعية، إما ثأراً كما فعل الصعلوك الشاعر (الشنفرى)، والذي يُروَى أنه ترك قومه لشعوره بإذلالهم له وأقسم على قتل مئة رجل منهم، وهناك الصعلوك (اليساري) الذي هجر قومه لإحساسه بظلم الغني للفقير، فتصعلك للإغارة على الغني لإعطاء الفقير، وأشهر هؤلاء الصعاليك هو الشاعر (عروة بن الورد).

مماسبق أريد الخلوص لتعريف الصعلكة في أنها في جميع حالاتها تمثل حالة الخروج عن دستور القبيلة، ولكن أخطر أنواعها هو الصعلوك المخلوع الذي يمثل حالة فساد داخلي، وعمل لنقل هذا الفساد إلى خارج حدود القبيلة الأم لهذا الصعلوك، وكان هذا النوع يقود جماعات من شذاذ الصعاليك المخلوعين مختلفة المشارب والقبائل التي خلعتهم لتساعده على الفساد.

في العصر الحديث بدأ تشكل مفهوم الدولة (الوطن) بمثابة قبيلة كبيرة ضمن رقعة جغرافية بحدود معينة ومعلومة، وتضم أفراداً من عصبيات مختلفة دينية أو اجتماعية أو مناطقية أو قومية أو عرقية (عن العصبيات راجع مقالي على زمان الوصل: العصبيات القاتلة والشرق الأوسط)، وقد توافقوا على عقد اجتماعي وأخلاقي بينهم اسمه الدستور، وماينبثق عنه من قوانين تنظم العلاقة بين هؤلاء الأفراد ضمن هذه الحدود، وقد اعترفوا جميعاً في هذا الدستور بالحق في الاختلاف والحق في التشاركية والمساواة لجميع الناس والعصبيات ضمن هذه الحدود تحت سقف القانون (راجع مقالي على زمان الوصل: الايديولوجيات الأممية وقتل الوطنية).

من تعريفنا للصعلكة أعلاه، فإن صعلكة الدول تتم بأن يقوم شخص أو مجموعة ما بالانقلاب على الدستور، أو تغييره لشكل غير متفق عليه بين أفراد الدولة، ولابد هنا من الاستبداد كشرط لازم مع الصعلكة، ومع الاستبداد يأتي الفساد الداخلي الذي يؤدي بالضرورة لنشوء طبقة كاملة هي طبقة الصعاليك الفاسدين.

إن الشكل الفاقع للدول الحديثة التي تمت صعلكتها بالاستبداد والفساد هي الدول الأيديولوجية، والتي يقودها (فرعون) المستبد الأيديولوجي الذي تحدثت عنه في العديد من مقالاتي السابقة وآخرها على زمان الوصل بعنوان (الأيديولوجي المنتصر والعم سام)، وهو يستخدم جميع الوسائل السلطوية والعنفية لإلزام المجتمع باتباع أفكاره التي لاتقبل الشك أو التأويل، وهو يلغي التشاركية التي هي جوهر الدستور، ويقوم بتشكيل جماعات من شذاذ الصعاليك (الخارجين عن الدستور والقانون)، كميليشيات مسلحة لاتدين

للدولة، وجهاز إعلامي وثقافي واجتماعي تابعين له. إن الفرعون الأيديولوجي هو أحق من يستحق لقب (الصعلوك القائد). ويبقى القول أن استمرار الاستبداد لفترة طويلة يجعل حالة الصعلكة الفاسدة جماهيرية، بحيث تعتنقها شريحة كبيرة من الشعب، إيماناً منها بأنها طوق نجاة في بحر الفساد الفرعوني. مما سبق سأتناول الحالة السورية كدولة جرت محاولة صعلكتها على امتداد تاريخها.

في مقالي السابق (الايديولوجيات الأممية وقتل الوطنية) تحدثت بشيء من التفصيل عن نشوء مفهوم الوطن السوري في العام 1920، وعن أسماء بعض الرجالات الوطنيين الذين ساهموا في بناء هذا الوطن والذين كانوا من قيادات الصف الأول والمؤثرين في الرأي المجتمعي السوري (لمزيد من الأسماء يمكن العودة لمقالي على زمان الوصل: مع صورة: دولة رجال أم رجال دولة)، ويعتبر العام 1936 الهام بتوقيع المعاهدة السورية الفرنسية، كبداية اعتراف ضمني بوجود كيان سياسي سوري ذي مؤسسات دستورية (دستور 1930)، يحدد حقوق أفراده و بعض مواده كالتالي: (السوريون متساوون أمام القانون وفي الحقوق المدنية والسياسية والواجبات، ولا تمييز بسبب الدين أو المذهب أو الأصل أو اللغة)، (حرية الاعتقاد مطلقة، وتحترم الدولة جميع الأديان والمذاهب وتكفل ممارسة الشعائر، بشرط عدم الإخلال بالنظام العام والآداب، وتحمي المصالح الدينية والأحوال الشخصية لمختلف الطوائف)، (العربية هي اللغة الرسمية في دوائر الدولة، مع إمكانية إضافة لغات رسمية أخرى بموجب القانون أو اتفاق دولي)، (لكل سوري حق تولي الوظائف العامة، ولا تمييز إلا بحسب الشهادة والكفاءة)، (حقوق الطوائف الدينية مكفولة، ولها إنشاء مدارس لتعليم أبنائها بلغاتها الخاصة وفق القانون). ومع هذه المعاهدة عاد الثوار (ثوار 1925) من المنفى وألقوا السلاح لممارسة النشاط السياسي في بناء الدولة المدنية.

يعتبر الانقلاب الأول لحسني الزعيم في العام 1949 هو أول محاولة لصعلكة الدولة المدنية السورية، حيث أوقف العمل بدستور 1930، وحل مجلس النواب، وقيد

النشاطات الحزبية، واعتقل السياسيين وأحدهم الرئيس شكري القوتلي، وأعلن نفسه رئيساً للدولة وقائداً للجيش، وبعد الانقلاب عليه ومقتله جاء الحناوي وبعده الشيشكلي وصدر دستور العام 1950، والذي ضم صراحة أن الدولة السورية (عربية) لأول مرة في مادته الأولى (سورية جمهورية عربية ديمقراطية نيابية ذات سيادة تامة)، كدليل هام على بدء غلبة الأيديولوجيات القومية العروبية في الحياة السياسية السورية (راجع مقالي: الايديولوجيات الأممية وقتل الوطنية)، ولكن بقيت حقوق الأفراد مكفولة ولاسيما في تشكيل الأحزاب (حق السوريين في تأليف الأحزاب السياسية مكفول)، وعلى الرغم من أن الدستور 1950 صدر في زمن انقلاب الشيشكلي إلا أنه صاحب المحاولة الثانية في صعلكة الدولة السورية بالانقلاب على دستورها، فحلّ مجلس النواب، وعطل الحياة الحزبية بشكل كامل في العام 1952، وأسس حزباً له (حزب التحرير العربي). ويعتبر جمال عبد الناصر هو صاحب المحاولة الثالثة في صعلكة الدولة السورية والمصرية قبلها، حيث ألغى التعددية الحزبية واشترط على السوريين للدخول في الوحدة حل جميع الأحزاب السياسية والتي كانت نشطة للغاية (راجع مقالي: الايديولوجيات الأممية وقتل الوطنية). ولابد من التنويه هنا أن الأيديولوجي القومي عبد الناصر قد شكل حزباً أوحداً (الاتحاد الاشتراكي) في مصر في العام 1962، كمثال آخر كما فعل الشيشكلي، عن أن جميع من يحاولون صعلكة الدول يمتازون بتشكيل حزب واحد قائد للدولة والمجتمع يجمعون به شذاذ الصعاليك كما ذكرت أعلاه.

إن محاولات الزعيم والشيشكلي وناصر في صعلكة الدولة السورية باءت بالفشل، بسبب قصر مدد حكمهم والتي لم تتجاوز في أقصاها 4 سنوات، لذلك لم تعط المدة الكافية لشيوع الفساد الداخلي شرط الصعلكة، ولكن الصعلكة الحقيقية ستبدأ بعد العام 1961، عام الانفصال عن مصر.

تتميز الفترة مابين 1961 و 1970 بكثرة أحداثها وحركاتها الانقلابية، التي ستأتي بالصعلوك القائد (حافظ الأسد)، فلابد من مرحلة اضطرابات عنيفة داخلية كأحد شروط

سيطرة الصعاليك على الدول، ومابين هذين العامين حدثت ثلاثة أحداث هامة في الأعوام 1963و 1966 و 1967.

في العام 1963 حدث انقلاب آذار بسيطرة اللجنة العسكرية البعثية ذات التركيبة الأقلاوية البارزة، لقد تم في نفس العام ولاسيما بعد الصراع مع الناصري (جاسم علوان) تسريح 1000 ضابط متمرس، وتم استبدالهم سريعاً من الضباط الأقل رتبة أو على شكل أقل بترفيع صف الضباط إلى ضباط، كل ذلك بإشراف (صلاح جديد) مدير (إدارة شؤون الضباط) آنذاك وبهذا بدأت الصعلكة العسكرية، وزيادة في صعلكة الدولة المدنية جرت عمليات تأميم أوسع من زمن عبد الناصر شملت استملاك الأراضي (إضافة استملاك أكثر من 700 ألف هكتار زيادة عن زمن عبد الناصر)، تأميم جميع المصارف (5 مصارف) وتأميم المصانع (108 شركات مملوكة للدولة بشكل كامل بحلول العام 1970)، وقام أيديولوجيو البعث بتسليم مااستملكوه إلى العمال والفلاحين وصغار الكسبة، كبديل عن ذوي الخبرة الذين غادروا سوريا إلى الدول المجاورة ليصنعوا امبراطورياتهم الاقتصادية، بينما عانت الأصول المستملكة من مشكلات الإدارة والفساد والإفلاس.

في العام 1966 جرى انقلاب القيادة القطرية على القومية، فتم التخلص من جميع الأيديولوجيين التاريخيين للبعث (عفلق، البيطار، الرزاز، العيسمي)، الذين كانوا سابقاً قد قبلوا بالمرسوم رقم (6) للعام 1965 والذي ينص صراحة على إنشاء محاكم عسكرية استثنائية لـ (الأفعال التي تعتبر مخالفة لتطبيق النظام الاشتراكي في الدولة سواء أوقعت بالفعل أم بالقول أم بالكتابة أم بأية وسيلة من وسائل التعبير أو النشر)، أي أن هؤلاء المدنيين الأيديولوجيين البعثيين القومجيين التاريخيين وافقوا على محاكم عسكرية لمن يقف ضد أيديولوجيتهم حتى بالكلمة، إن هؤلاء الأيديولوجيين فضلوا الذهاب إلى دولة قمعية أخرى (العراق) بدلاً من مراجعة أيديولوجيتهم، فالأيديولوجية أولاً حتى لو جاءت بالدكتاتورية. وفي نفس العام 1966 جرت محاولة (سليم حاطوم) الانقلابية، وهنا تمت إعادة توسيع الصعلكة العسكرية للدولة، فجرى تسريح حوالي 400 ضابط، واستبدالهم

بطلاب الضباط أو ترقية الضباط السريع لرتب أعلى، وحوالي 30٪ منهم تمت ترقيتهم من صف الضباط إلى ضباط. لقد وصف الشاعر بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد) ذلك بقوله:

رُتَـبٌ صِنْـعَةُ الـدَّوَاوِين مَاشَـارَكَ.....فِـيْـهَـا قَـرُّ الـوَغَـى وَالـهَـجِـيْـرُ

وتشير عدة مصادر إلى أن ماتم تسريحه منذ العام 1963 حتى 1967 هو حوالي 2000 ضابط جرى استبدالهم بقليلي الخبرة والرتب الدنيا الذين استيقظوا بين ليلة وضحاها على كونهم برتب عليا، وكانت غالبيتهم من أصول ريفية أكثر من القاعدة الاجتماعية المرتبطة بالمدن، دعماً لأيديولوجية الفلاحين والعمال وصغار الكسبة، أي بمعنى آخر ترييف الجيش. من هنا لن نستغرب أداء الجيش الضعيف مهنياً وهزيمته في العام 1967، والذي بدأ بعده (حافظ الأسد) بالتطهير العسكري في الجيش لجماعة (صلاح جديد)، تمهيداً لقدومه بإرادة دولية في العام 1970 (راجع مقالي على موقع سيريانيوز: القطبية الدولية وسوريا الوظيفية).

يمكن ملاحظة أن قدوم قائد الصعاليك الأول (حافظ الأسد) تم بعد الصعلكات الواسعة والعديدة للدولة السورية على الصعيد العسكري والاقتصادي والصناعي والثقافي والمدني (ترييف للحواضر وإبعاد أبناء الأرياف عن أراضيهم الغنية)، مابين العامين 1963 و 1970 (المرحلة الحرجة في التاريخ السوري)، وبمشاركة الأيديولوجيين المدنيين التاريخيين القوميين والاشتراكيين.

تعتبر فترة الصعلوك الأب (حافظ الأسد) الطويلة على مدى ثلاثين عاماً بعد العام 1970 هي منهجية واسعة للصعلكة الفاسدة للدول، وقد ذَكرتُ ببعض التفصيل مافعله على بعض الأصعدة في السياسة الخارجية والحالة الأمنية الداخلية والتنمية المجتمعية والتعليم والجيش والثقافة والاقتصاد والنقابات المهنية (راجع مقالي على زمان الوصل: الاستبداد والعصبيات: قصة سورية). لقد قام في دستوره الجديد في العام 1973بتثبيت أن سوريا (شعبية واشتراكية) بصيغتها النهائية بعد عدد من الدساتير المؤقتة التي سبقت ذلك منذ

انقلاب آذار 1963، بعد أن تم إدخال أنها (عربية) للمرة الأولى في دستور 1950. وكما فعل غيره من قادة صعلكة الدول فقد ثَـبَّتَ فكرة الحزب القائد (حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب القائد في المجتمع والدولة) وأنشأ الجبهة الوطنية التقدمية الشكلية كذر للرماد في العيون، وثَـبَّتَ حافظ الأسد في دستوره الجديد تأكيد هدف التعليم الأيديولوجي القومي (يهدف نظام التعليم والثقافة إلى إنشاء جيل عربي قومي اشتراكي)، وتثبيت هدف الجيش أيضاً (حماية أهداف الثورة، وهي: الوحدة والحرية والاشتراكية).

إن الصعلكة القاسية والفاسدة لسوريا جاءت بعد بدء الصراع الأسدي الإخواني في سوريا العام 1979، وابتداء من هذا العام اعتمد الأسد الأب بشدة على شذاذ الصعاليك الفاسدين ليقودوا المجتمع، وقد وصف الشاعر عمر أبو ريشة ذلك بقوله:

مِنْ كُلِّ مُنْـفَضِّ السَبِـيْلِ لَقِيْـطِهِ.....شَاءَتْ بِهِ الأَحْقادُ أَنْ تَتَجَسَّدَا

نَـثَرَ الخَسِيْسَ مِنَ الرِّجَالِ أَمَامَهُ.....وَاخْـتَارَ مِنْهُ أَخَـسَّهُمْ وَتـقَلَّـدَا

وعلى سبيل المثال ومن واقع عملي الجامعي فقد تحدثت عما حدث في التعليم العالي في مقال على زمان الوصل بعنوان (هل يبدأ عطار التعليم العالي بإصلاح ماأفسد الدهر).

مع صعود الخمينية الإيرانية في العام1979 وبتشجيع أمريكي هدفه تشكيل الجهادية الدينية الأممية لمحاربة الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، ومع بدء سقوط وتفكك الاتحاد السوفيتي في العام 1988 وانتهاء وظيفة الجهاديين، ستشعل أمريكا الصراع الجهادي السني الشيعي، وسيبدأ العالم العربي بمرحلة صعلكة أيديولوجية دينية أممية جهادية بديلة عن صعلكة الأيديولوجية القومية (راجع مقالي على زمان الوصل: إيران: أهورامزدا ضد أهريمن)، ومع الجهادية الأممية الدينية سيظهر بشكل واضح ظاهرة الصعلوك المخلوع (سحب الجنسية)، كقادة القاعدة وعناصرها الذين تم تصنيفهم كإرهابيين في دولهم الأم وسحب جنسيتهم كما كانت تفعل القبائل في خلع أفرادها تجنباً لدفع ديات أعمالهم، فالسعودية مثلاً سحبت الجنسية من (ابن لادن) خوفاً من التعويضات التي قد تلاحقها من ضحاياه، وخوفاً من الآثار السياسية الخارجية لأفعاله. ويعتبر تنظيمي القاعدة وداعش

ومانتج عنهما من تنظيمات موطناً للجهاديين الأمميين الذين خلعتهم دولهم الأم أو خلعوا أنفسهم بأنفسهم بشكل مماثل تماماً لظاهرة الصعاليك (راجع الجزء الأول)، وقاموا بتجميع أنفسهم في مناطق عدة لتحقيق هدفهم الأيديولوجي الجهادي.

وبالعودة إلى سوريا، فقد استمرت صعلكتها الفاسدة على يد النظام الأسدي وصولاً لانفجار العام 2011، أي قرابة 48 عاماً بدءاً من العام 1963، ومن هنا يمكن تفسير هذا الانفجار كنهاية حتمية للفساد الفرعوني الصعلوكي الذي أصبح جماهيرياً ومؤسساتياً معاً.

لن نغفل هنا المحاولات الوطنية مع بداية العام 2000 والعام 2011 في تجنب كارثة الانفجار بعد صعلكة فاسدة طويلة (راجع مقالي:الايديولوجيات الأممية وقتل الوطنية)، ولكن قمع النظام الأسدي الدموي كان حائلاً دون نجاحها.

مع بداية الانتفاضة ضد الأسد العام 2011، وبمشورة إيرانية ودعم دولي، سيتم إطلاق قادة الحركات الإسلامية ولاسيما المتشددين من سجون الأسد، في الوقت الذي يستمر فيه اعتقال المدنيين السلميين. لقد تم الإفراج عن الإسلامويين المتشددين من أمثال زهران علوش وحسان عبود نتيجة عفو رئاسي في نفس العام، بينما كان السيد (فريد المذهان) المعروف بقيصر السوري يقوم بتصوير الجثث مابين 2011 (عام بدء إطلاق الإسلاميين) حتى 2013. وسيعود الإسلامويون المتشددون إلى مناطقهم مستغلين حالة الدم المهدور على طرقاتها ليقودوها بأيديولوجياتهم الدينية التي لاتقبل منازع، محولين مناطقهم إلى مناطق شرعية دينية بحكم السلاح لا مدنية، وسيعلنون أنهم مستقلون عن المجلس الوطني السوري في تحركاتهم وقراراتهم، وسيسجل الدكتور (برهان غليون)، أول رئيس للمجلس، في كتابه (عطب الذات: وقائع ثورة لم تكتمل) أن (الفصائل الإسلامية المتطرفة استمرت تتمتع بدعم مالي وبالسلاح من قبل دول خليجية وشخصيات سلفية)، وعلى هذه الفصائل أطلق غليون لقب (الحركة الطائفية الشعبوية)، وكمثال عن الدعم المالي للإسلاميين يسجل غليون أن الشيخ السلفي السوري في السعودية (ع.ع)، وبسبب سلطته المالية على هذه الفصائل وشرعييها قد اشترط (الحصول

على نصف مقاعد المجلس الوطني لأنصاره حتى يرضى عنه ويقبل الاعتراف به)، و أنه صرح (هذا الملحد غليون الذي يدخل إلى اجتماعات المجلس مخموراً)، وبهذا تحولت المعارضة إلى إسلامية بواجهات علمانية كغليون كما قال (صدر الدين البيانوني) الإخواني لأنصاره في أحد التسجيلات.

وهكذا ستتم صعلكة الثورة السورية خلال الـ 14 سنة من قبل النظام والمعارضة الإسلاموية الأيديولوجية و(الطائفية الشعبوية) وفق تعبير غليون، وهنالك مئات الفيديوهات التي تسجل مهاجمة من خرجوا ضد الأسد أنفسهم لأجسام المعارضة المنظمة وبقسوة، سواء كانت بالائتلاف ذي الغلبة الإخوانية، أو بالسلفية الطائفية الشعبوية المسلحة على الأرض.

في الخلاصة ومماسبق فإننا نستطيع القول أن الدول المتصعلكة هي دول مريضة جداً لاتفارقها الحمى الشديدة، وشروطها كالتالي:

1- إن الدول الأيديولوجية والتي تتميز بسيادة وجماهيرية الحزب الواحد الأحد، هي دول تتمتع بمستوى عال من الصعلكة الفاسدة، فالأيديولوجي (سواء آمن بالفكر الذي يحمله أم ادعاه) هو أحادي مستبد ويقيني لايقبل الشك والجدال فيما ينادي به، ويرفض الفكر الآخر والتعددية، وهو بجميع أنواعه القومي والشيوعي والديني لايقبل إلا بمبدأ البيعة الأبدية، وأن الحوار لايتم مع الشعب بل بين الأيديولوجيين أنفسهم، والدولة الأيديولوجية دائماً تحمل فناءها (لمزيد عن صفات الأيديولوجي والدمار الذي يسببه راجع مقالي على عنب بلدي: الأيديولوجي الأممي واليوم الأخير). إن الأيديولوجية تحول الدول إلى دول هشة كالزجاج، سهلة الانكسار وصعبة الالتئام إلا بنار تحرقها وتصهرها من جديد، ولنا في كثير من الدول الأيديولوجية الفرعونية أمثلة على ذلك ولكن خير مثال هو سوريا خلال الـ 14 عاماً من الثورة، وهي التي انكسرت واحترقت وانصهرت كالزجاج،

وماتزال تنتظر أن تلتئم قطعها المتناثرة لتشكل سوريا الواحدة المتماسكة من جديد.

2- إن غلبة أيديولوجية معينة على المفهوم الجمعي للوطن الذي يصون الاختلاف والتشاركية والمساواة للجميع دون استثناء تحت سقف القانون، تظهر بتغيير الأيديولوجيين للمادة الأولى من الدستور، ففي الحالة السورية تم تغيير المادة الأولى من دستور العام 1930 ليتم إدخال عروبة الدولة لأول مرة (سورية جمهورية عربية) في المادة الأولى من دستور 1950 كغلبة للأيديولوجية القومية، ومن ثم تم تثبيت إضافة (شعبية واشتراكية) الدولة في المادة الأولى من دستور 1973، كدليل غلبة الأيديولوجية البعثية. في الدول الدينية كإيران مثلاً فإن المادة الأولى من دستورها بعد قدوم الأيديولوجي الخميني هي (حكومة إيران هي جمهورية إسلامية) كدلالة على إسلامية الدولة وتحويلها إلى دينية. إن المادة الأولى من دستور الأيديولوجيين دائماً ماتتناقض مع مواد أخرى في نفس الدستور عن المساواة والحريات، ذلك أن المادة الأولى قامت في بداية الدستور بالتمييز بين المواطنين على أسس أيديولوجية، فأصبحت هناك شريحة مستثناة من الحقوق باعتبارها لاعربية أو لا اشتراكية أو لاإسلامية. من هنا فإن المادة الأولى للدستور (الوطني) وليس (الأيديولوجي) لايجب أن تتضمن إشارات أيديولوجية، كالمادة الأولى من دستور 1930 (سورية دولة مستقلة ذات سيادة لا يجوز السماح بأي جزء كان من أراضيها). إن إدخال الأيديولوجية ضمن صياغة المادة الأولى من الدستور يعني أن الدولة بدأت صعلكتها أو أنها أصبحت متصعلكة خالصة.

3- يقوم الأيديولوجي بعملية إلهاء الشعوب عن مستنقع الداخل بمايحويه من رائحة الفساد العفنة، والتماسيح المفترسة، بادعائه للإنجازات والأهداف الخارجية ودعوة الشعب للصبر مقابل هذه الإنجازات، وهو بذلك كمثل من يغتصب فتاة بشكل مستمر مطالباً إياها بالصبر لحين وصول رجل الدين و الشهود من الخارج

ليزوجونهما، ويتحول اغتصابها إلى شرعي، ولكن الاغتصاب سيبقى مستمراً والفارق هو شرعنته من قبل الخارج، فالأيديولوجي لايعرف إلا لغة الاغتصاب وإلهاء الشعب بالانتقال من مغامرة خارجية إلى أخرى (راجع مقالي: الأيديولوجي الأممي واليوم الأخير).

4- في الدول المتصعلكة الأيديولوجية هنالك دائماً تمييز بين مؤسسات الدولة ومؤسسات الجماعة الأيديولوجية، فحافظ الأسد مثلاً قد قام بوضع فرقة بعثية في كل مؤسسة، تناقش تناسق قراراتها مع الفكر البعثي الأيديولوجي وتوجهات قائده المفدى، فلايصدر قرار عن أي مؤسسة إلا بموافقتها، وكذلك الأيديولوجي مهما اختلف نوعه، فهو يصنع لنفسه دولة داخل الدولة.

5- إن الفرق بين رجل الدولة والصعلوك الأيديولوجي، أن رجل الدولة يفكر بالمستقبل والأجيال القادمة ويضع لها خططاً مستدامة، أما الصعلوك فمنذ زمن القبائل يهتم بالغزو والسلب وسبي النساء، وهو يسعى مايسعى إلى بناء جنته وقصوره على الأرض، وإن ادعى ماادعى أن همه هو جنة السماء، وإيصال شعبه المغتصَب إليها.

6- إن تعليم الصعلكة يبدأ منذ الصغر في المدارس، ويتم إنشاء منظمات لهم (طلائع البعث مثلاً)، فتخيل أن حنجرة طفل صغير بعمر 5 سنوات (الصف الأول) تصدح بشعارات لايفهمها عن الوحدة والحرية والاشتراكية والإسلاموية والجنة والنار وحب فلسطين، ويفرح أبوه أن ولده يتفوه بشعارات الكبار بدلاً من أغاني مرحلته الطفولية، ويسارع هذا الأب لتسجيل ذلك على وسائل التواصل الاجتماعي.

7- في دولة الصعلكة يقوم المواطن بطلب العدل والإنصاف من (الصعلوك القائد) مباشرة، غير مصدق بوجود مؤسسات قانونية وحكومة يلجأ لها حين تتأزم حاله، لأنه ببساطة يؤمن بأنه لاقانون في دولة الصعاليك وإنما نظام الفرعون الرب الواحد المستبد.

8- إن الفرح الجماهيري العارم بموت أو زوال (الصعلوك القائد) هو دليل على أن الدولة كانت دولة صعاليك متعبة ترغب بالتنفس الطبيعي بعد أن عاشت لفترة طويلة على أنبوبة الأوكسجين، وهي دول خائفة وأي خوف أن يأتيها صعلوك آخر يعيدها إلى التنفس الصناعي مرة أخرى.

إن صعلكة الدول تشبه وضع حفنة من الرمل في زجاجة ماء، وكلما تم رج الزجاجة تعكر الماء فصرت لاترى نقاءه، وإن الاستبداد بجميع أنواعه اللاديني أو الديني هو اليد التي ترج هذه الزجاجة بقوة ليبقى الماء عكراً لاتستطيع شربه، وعلى المجتمعات التي تريد إعادة النقاء للماء أن تجعل هذه الزجاجة عصية على الرج، ببناء المجتمع المدني الذي يؤمن بالوطن وليس الأيديولوجيات المستبدة التي تستبدل المؤسسات الوطنية بمؤسسات الجماعة الأيديولوجية، وتنتج جيلاً يتعلم الولاء للجماعة بدلاً من الولاء للوطن، ويجب بناء مجتمع يؤمن بالاختلاف والتشاركية والمساواة تحت سقف القانون، ويبني مؤسساته وفق آليات ديمقراطية حقيقية، وعندها سيترسب رمل الصعاليك وأيديولوجياتهم في قعر الزجاجة ويعود ماء الوطن لنقائه وتزداد شفافيته.

ويبقى القول أنه عندما تتصعلك الدول، تفقد القبيلة (الوطن) شرفها، ويصبح شرف صعاليك.

مكتبة عمون الإلكترونية